# الحياة الاجتماعية
## في العصر العباسي الثاني
## ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

كانت الدولة الاسلامية في ذلك الحين مؤلفة من عدة عناصر أهمها :

الأتراك : وكان لهم النفوذ السياسي في الدولة ، وقضوا على نفوذ الفرس والعرب جميعاً ، وتولوا شتى المناصب الرفيعة في الحكومة . وأخلاقهم الاجتماعية ضعيفة [1] ؛ وكان فيهم عبث بالأخلاق ، وشراهة في جمع الأموال [2] ، وكانوا مشهورين بالجمال والبسالة ، فكثرت الجواري الأتراك في قصور الخلفاء والأمراء ، حتى كان كثير من الخلفاء من أمهات تركيات ؛ وطابع الترك حب الجندية والفروسية والانتصار لمذهب أهل السنة ، والصد عن الفلسفة والجدل في الدين ، وحب المال وجمعه من أية سبيل ، مع عدم الرغبة في الاصلاح .

العنصر الفارسي : كانوا عماد النظام السياسي والاداري للدولة ، ولكن الترك أقصوهم عن منزلتهم في العصر العباسي الأول ، فأخذوا يدسون الدسائس ، ويدبرون المؤامرات ، ويرمون الى الاستقلال ببلادهم عن الخلافة وكانت الدولة تتأثر بهم في حياتهم العقلية الخصبة ، وعاداتهم وتقاليدهم العامة ، وكانوا دعاة الترف والفنون والحضارة ، وطابعهم حب السيادة والبذخ والقدرة على تنظيم إدارة الدولة وتدعيم الحكم والظهور بمظهر التشيع .

العنصر العربي : أقصى عن النفوذ في الدولة والخلافة ، وكان للمعتصم من ذلك

---

(١) ظهر الاسلام جزء أول صفحة ٣٢ (٢) المرجع السابق صفحة ٣٤ ، ٣٥

أثر مصروف ، وكان نفوذ العرب أظهر ما يكون في الشام والجزيرة حيث كان ثم هناك دويلات كثيرة ، وطابع الحياة العربي الزهو والاعتزاز بالنسب والفضائل والميل إلى الأدب والرغبة في السيادة .

وهناك عنصران آخران كان لهما أثرهما في الحياة الاجتماعية في هذا العصر ، هما الزنج والروم :

أما الروم فقد كثر أسراهم في بيوت الخلفاء والأغنياء ، حتى كان بعض الخلفاء من أمهات تركيات ، وكانت الجواري الروميات والقيان الروم يملأون القصور ، وتعشقهم الشعراء ، فكان للبحتري غلام رومي سماه نسيم [1] . وكذلك كان لسواه من الشعراء ، ومن هذا العنصر : ابن الرومي م ٢٨٣ هـ .

وأما الزنج أو السود فكانوا يجلبون من سواحل افريقيا الشرقية ، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة وفي بيوت الطبقات المتوسطة ، وليس أدل على كثرتهم وخطرهم من الثورة التي هددوا بها الدولة ( ٢٥٥ — ٢٧٠ هـ ) ، وكانت حرباً بين الأجناس ، وظلت حتى قضى عليها الموفق عام ٢٧٠ هـ .

❖

وكان الفرق بين طبقة الخاصة وطبقة العامة كبيراً [2] ، والنفوذ والثروة في يد الخاصة من الناس مما يستلزم الترف والبهر والمغالاة في البنيان ، فقد أنفق المعتصم على بناء « سامرا » أموالاً طائلة ، وكذلك فعل المتوكل في بناء الجعفري وسواه من المباني التي أنفق عليها نحو خمسة ملايين من الدنانير ، وبنى المعتضد قصر التاج في الجانب الشرقي من بغداد وأتمه ابنه المكتفي ، وبنى المعتضد على بعد ميلين منه قصر الثريا الذي بلغ طوله ثلاثة فراسخ وأنفق عليه نحو نصف مليون من الدنانير ، ووصله بالقصر الحسني بسرداب تحت الأرض بلغ طوله ميلين وكانت تمشي فيه جواريه وحرمه [3] ، وفي تهنئة المعتضد بقصر الثريا نظم ابن المعتز قصيدته :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقياً واسع العمر

(١) شاهد التنسيس ص ١١٠ — مهذب الاغاني جزء ٢ ص ٩٤

(٢) راجع الطبقات الاجتماعية وحياتها في هذا العصر في التمدن الاسلامي ( ٢ — ٥٩ / ٥ ، ١٠١ — ١٢٩ / ٥ )

(٣) التمدن الاسلامي صفحة ٩٣ و ٩٤ وظهر الاسلام ج ١ صفحة ٩٩

حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معمو راً بزورك من قصر
فليس له فيما بنى الناس مشبه ولا بناه الجن في سالف الدهر

ويصفه في أرجوزته في المعتصد قصر الرباب فيقول :

فمن رأى مثل الرباب قصراً كم حكمة فيه تخال سحراً
أبنية فيها جنان الخلد لكل ذي زهد وغير زهد
تخبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
ومظهرات قوة الاسلام على أعاديه من الأنام

وهكذا كان الترف والنعيم حظ عدد قليل ، هم الخاصة من الناس وبعض رجال التجارة والصناعة ، حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس [1] .

وكان من مظاهر الترف في هذا العصر — كما ذكرنا — كثرة الرقيق ، حتى امتلأت به القصور ، فكثرت نسل الجواري واختلطت الدماء ، وأشاع هؤلاء الجواري فن الغناء ، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات .

ولتنوع الحياة الاجتماعية الى خاصة وعامة وترف وفقر وذلك ولهو ، كانت البلاد معرضاً للنحل ، ومجالاً لدعاية الجماعات السرية وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون الأغراض الاجتماعية بالمبادىء الدينية ويعالجون الترفيه عن الفقراء بالدعوة الى المساواة .

فكان فيها التشيع برجالاته ، والاعتزال بطوائفه ، والسنة باختلاف أقوالها ، والفلسفة بمذاهبها ، والعلوم الحديثة بأنواعها ، وطوائف الأديان الأخرى بعباداتهم وآرائهم .

وقد قامت جماعات تكافح الشك في الدين والمجون في المجتمع ويدعون الى الحياة الاسلامية بأخلاقها ومبادئها وسلوكها : ومنهم الحنابلة الذين كانوا يقومون بثورات كثيرة في بغداد لمحاربة المجون والالحاد .

(١) ظهر الاسلام جزء ١ صفحة ٩٧